**المحاضرة الثانية**

**تمهيد:**

1. **تصور النقاد القدامى للجنس الأدبي**
2. **تاريخ الجنس الأدبي**
3. **كيفية دراسة الجنس الأدبي**
4. **أسئلة الجنس الأدبي**

**تمهيد :**

إن العناية الكبيرة التي حظيت بها مسألة الأجناس الأدبية تبرر الكم الهائل من الدراسات النقدية الغربية، فقد تحددت و تنوعت آراؤهم و تنامت جهودهم لتقضي الى ما صار يعرف ب "نظرية الأجناس الأدبية" في الفكر الأدبي، فالبداية كانت مع تصورات سقراط وأفلاطون التي أثارها أرسطو و وصولا الى ما سجله العرب، ثم تناولوا القضية الكلاسيكية والرومانسية و من ثمة اختلفت التوجيهات، من تأثر بالعلوم الإنسانية أو ما يعرف بالنزعات الاديولوجية و البنيوية و اللسانية.

1. **تصور النقاد القدامى للأجناس الأدبية:**

تعتبر نظرية الأجناس الأدبية نظرية غربية في أساسها و هي نظرية عريقة تمتد الى العهد اليوناني القائم على تصور أفلاطون و أرسطو، و قد بين محمد غنيمي هلال في كتابه "الأدب المقارن" أن النقاد على مر العصور و صفوا الأدب بأنه أجناس أدبية فقال في هذا الصدد : فمنذ كان نقاد الأدب اليوناني و على رأسهم أفلاطون و أرسطو لا يزال النقاد في الآداب المختلفة على مر العصور ينظرون الى الأدب بوصفه أجناسا أدبية أي قوالب عامة فنية، تختلف فيما بينها حسب بنيتها الفنية و ما تستلزمه من طابع عام.

كما أشار اليه النقاد العرب –الجنس الأدبي- كالجاحظ ( ت 868 م) في كتابه "البيان و التبيين" في سياق حديثه عن كلام الخطباء العرب في قوله " و متى كان اللفظ أيضا كريما في نفسه متميزا من جنسه،كما ذكره ابن طباطبا ( ت 933 م) في كتابه "عيار الشعر" في قوله " و الشعر على تحصيل جنسه و معرفة اسمه متشابه في مجمله".

وهذا يعني أن العرب القدامى لم يعرفوا مصطلح الجنس الأدبي بل اقتصر بحثهم على تقسيم الأدب الى شعر و نثر.

يظهر جليا أن الأدب قد أثار مجموعة من القضايا النظرية و المنهجية المختلفة في ماهيته و نشأته و مفهومه من عصر الى عصر و من حضارة الى أخرى، لصلته بمعطيات غربية التفاعل بطرق مختلفة، فتؤدي بثقافة بعينها الى أجناس و أنواع أدبية تكون مختلفة أو منعدمة في ثقافات أخرى.

1. **مفهوم الجنس الأدبي:**

يقصد بالأجناس الأدبية القوالب الفنية العامة للأدب، و لذلك ينظر النقاد منذ أفلاطون وأرسطو الى الأدب بوصفه أجناسا أدبية تختلف فيما بينها، لا على حسب مؤلفيها أو عصورها أو مكانها أو لغاته، بل حسب بنيتها الفنية، و ما تستلزمه من طابع عام، و من صور تتعلق بالشخصيات الأدبية أو بالصياغة التعبيرية الجزئية التي ينبغي ألا تقوم الا في ظل الوحدة الفنية للجنس الأدبي، و هذا واضح كل الوضوح في القصة و المسرحية و الشعر الغنائي بوصفها أجناسا أدبية، يتوحد كل جنس منها على حسب خصائصه، مهما اختلفت اللغات والآداب و العصور التي ينتمي اليها".

وعليه يعد الجنس الأدبي مبدأ تنظيميا للخطابات الأدبية، ومعيارا تصنيفيا للنصوص الإبداعية، ومؤسسة تنظيرية ثابتة، تسهر على ضبط النص أو الخطاب، وتحديد مقوماته ومرتكزاته، وتقعيد نياته الدلالية والفنية والوظيفية من خلال مبدأي: الثبات والتغير، ويساهم الجنس الأدبي في الحفاظ على النوع الأدبي، ورصد تغيراته الجمالية الناتجة عن الانزياح والخرق النوعي، ويعتبر الجنس الأدبي كذلك من أهم مواضيع نظرية الأدب، وأبرز القضايا التي انشغلت بها الشعرية الغربية والعربية على حد سواء، ما للجنس الأدبي من أهمية معيارية وصفية وتفسيرية في تحليل النصوص، وتصنيفها ونمذجتها، وتحقيبها وتقويمها، ودراستها عبر سماتها النمطية، واستكشافها عبر مكوناتها النوعية، وتبيانها بواسطة خصائصها التجنيسية.

**3-تاريخ الجنس الأدبي و خصائصه النوعية:**

اهتمت الانشائية الغربية (**POETIQUE**) منذ القديم – وما تزال – بمسألة الأجناس الأدبية.

وقد ميز أفلاطون، في جمهوريته ، بين السرد و الحوار، أو بين الحكي القصصي و الحكي المسرحي، حيث يشتمل الأول على السرد و الحوار، و يتضمن الثاني الحوار فقط، فالملحمة تمثل النمط الأول، و المسرحية المأسوية و الهزلية تمثل النمط الثاني، على أن هناك نمطا ثالثا يشتمل على السرد فقط، و هو المدائح.

ويعد أرسطو، في كتابه (**فن الشعر**)، المنظر الأول للأجناس الأدبية دون منازع، فقد قعدها و صنفها بطريقة علمية قائمة على الوصف، و تحديد السمات و المكونات. وقد قسم الأدب الى ثلاثة أقسام : الأدب الغنائي، و الأدب الملحمي، و الأدب الدرامي.

و تبعا لذلك، فقد صارت قضية التجنيس في العصر الحديث من أعوص القضايا التي ناقشتها نظرية الأدب والتصورات البنيوية و السيميائية و ما بعد البنيوية، لما لها من دور فعال في فهم آليات النص الأدبي، و تفسير ميكانيزماته الإجرائية قصد محاصرة النوع، و تقنين الجنس دلالة، و بناء، و وظيفة.

وقد أشار تودوروف (**Todorov**) الى أن مسألة الأجناس "من المشاكل الأولى للبويطيقا منذ حتى الآن، فتحديد الأجناس و تعدادها و رصد العلائق المشتركة بينها لم يتوقف عن فتح باب الجدال،و تعتبر هذه المسألة حاليا متصلة بشكل عام بالنمذجة البنيوية للخطابات، حيث لا يعتبر الخطاب الأدبي غير حالة نوعية.

وقد عرفت عملية تجنيس النص الأدبي امتدادات تاريخية و فنية و جمالية.

كما عرفت أيضا تطورات على مستوى التصور النظري و الممارسة التطبيقية منذ شعرية أرسطو وأفلاطون، مرورا بتصورات برونوتير، و هيجل، وجورج لوكاش، و ميخائيل باختين،و فراي، و تودوروف، و أوستين و روني و يليك، و ماري شايفر، و فيتور، و جيرار جنيت، و غيرهم.

كما انتقل الجنس الأدبي من مرحلة الصفاء و النقاء النوعي مع الشعرية اليونانية الى مرحلة وحدة الأجناس الأدبية مع الرومانسية، و بعد ذلك، انتقل الى مرحلة الاختلاط و التهجين و التلاقح مع نظرية باختين، و بكل اختصار، انتقلت عملية التجنيس من مرحلة الانغلاق و الثبات و الاستقرار الى مرحلة الانفتاح و التكون و التغير. فهذا تودوروف يؤكد أن التأملات حول الأجناس الأدبية قد كثرت، فهي قديمة قدم نظرية الأدب، و ما دام كتاب أرسطو في الشعر يصف الخصائص النوعية للملحمة و التراجيديا.

فقد ظهرت منذ ذلك الوقت مؤلفات ذات طبيعة متنوعة احتذت حذو أرسطو، لكن هذا النوع من الدراسات لم يحقق تقاليده الخاصة الا ابتداء من عصر النهضة، حيث تتابعت الكتابات حول قواعد التراجيديا و الكوميديا و الملحمة و الرواية، و مختلف الأجناس الغنائية، و ارتبط ازدهار هذا الخطاب، بكل تأكيد، ببنيات أيديولوجية سائدة، و بالفكر المتبني عن الجنس الأدبي في ذلك العصر.

1. **كيفية دراسة الجنس الأدبي و تحديده :**

لتحديد الجنس الأدبي، نتبع منهجية و صفية تستند الى ابراز مواصفات الجنس الأدبي و مميزاته، باستخلاص بنياته النوعية، و استكشاف مكوناته التجنيسية لمعرفة ما هو ثابت و جوهري، و رصد ما هو عرضي متغير، أو نلتجئ الى منهجية تفسيرية للبحث عن حيثيات التطور الأدبي، و استخلاص ظروف تغير الجنس، و استكناه جمالية التجنيس في النص الأدبي تقويما و تأويلا.

ولا بد كذلك من الاعتماد على مجموعة من الخطوات المنهجية في ذلك، وهي الملاحظة، والوصف، والتجريب، الفرضية، و الاستنتاج، و القانون، أي ننطلق من المحسوس الى الكلي بطريقة استقرائية، أو من الكلي المجرد الى الجزئي و الخاص بطريقة استنباطية.

1. **أسئلة الجنس الأدبي**:

يطرح الجنس الأدبي مجموعة من الأسلة المحيرة داخل الدراسات الأجناسية المتعلقة بالنص الأدبي على النحو التالي:

**1/** هل من حقنا مناقشة جنس أدبي ما من غير أن نكون قد درسنا، أو على الأقل، قرأنا جميع الآثار التي تكونه؟

**2/** هل ثمة أجناس أدبية معدودة فقط، كأن نقول: أجناس شعرية غنائية وملحمية ودرامية، أو أزيد منها بكثير؟ وهل عدد الأجناس نهائي أو غير نهائي؟

وقد أجاب تودوروف عن **السؤال الأول** قائلا: "من أولى سمات المنحنى العلمي عدم مطالبته بملاحظة كافة تميزات الظاهرة لغرض وصفها، فهو بالأحرى يعمل عن طريق الاستنباط، بحيث يتم في الواقع، جمع عدد محدود نسبيا من الوقائع، فتستخلص من فرضية عامة، وتراجع على متن آثار أخرى، بتصحيحها أو بطرحها، فمهما كان عدد الظواهر المدروسة، (**وهي هنا آثار)،** فقلما يكون مباحا لنا أن نستنبط منها قوانين كلية، إذ إن الترابط المنطقي لنظرية، لا كمية الملاحظات، هو الذي يكون على صلة وثيقة بالموضوع".

ويعضد قولة تودوروف ما قاله كارل بوبر (**KARAL POPER)** من وجهة نظر المنطقي: "لامبرر بين أيدينا لاستنتاج فرضيات كلية انطلاقا من قضايا جزئية، مهما كان عددها، لأن كل استنتاج من هذا السبيل يمكن أن يتبدى كاذبا على الدوام: مهما كان عدد البجع البيض الذي سيكون بوسعنا ملاحظته، فإنه لا يبررلاستنتاج أن كل البجع أبيض".

أما عن **السؤال الثاني**، فقد قدم الشكلانيون الروس مجموعة من الأجوبة، ولا سيما توماشفسكي الذي قدم حلا صحيحا نسبيا بقوله: "تتوزع الآثار إلى أقسام واسعة، وهذه بدورها تتفرع إلى صيغ وأنواع".

كما تساعدنا معرفة قواعد الجنس على إدراك التطور المالي والفني والنصي، وتطور التاريخ الأدبي، باختلاف تطور الأذواق، وتنوع جماليات التقبل أو التلقي، فضلا عن تطور العوامل الذاتية المرتبطة بشخصية المبدع من ناحية الجنس والوراثة، وتطور العوامل الموضوعية التي تحيل على بيئة الأديب بكل تجلياتها الطبيعية، الجغرافية والاجتماعية، التاريخية والدينية، وإذا كان هذا هو تعريف الجنس الأدبي، فما تضاريسه التاريخية؟ وما خصائصه النوعية والشكلية؟ وكيف يتم رصد الجنس الأدبي ودراسته؟ وما الأسئلة التي يطرحها الجنس الأدبي على القارئ والناقد معا؟ وما المنهجيات التي اعتمدت في مقاربة الجنس الأدبي في الغرب والعالم العربي معا؟

وفي المنحنى نفسه، طرحت جان ماري شايفر **J. MARIE (SCHAEFFER**) عدة إشكاليات تتعلق بالقضية التجنيسية وصعوبة التجنيس، منها:

**1**.ما ذا نقصد بالجنس الأدبي؟ والأجوبة على هذا السؤال لا تؤسس إلا الاختلاف الجذري، فقد يكون:

أ/ معيارا.

ب/ جوهرا مثاليا.

ج/ قالبا للمقدرة الأدبية.

د/ مجرد مفهوم للتصنيف لا يناسب، أي:إنتاجية نصية خاصة ...إلخ.

**2**. ما العلاقة التي تربط النصوص بالأجناس الأدبية؟

**3**. ما العلاقة التي تربط نصا معطى بجنسه الأدبي؟

**4**. ما العلاقة الموجودة بين الظواهر التجريبية والتصورات؟

**5**. هل تسهم الأجناس الأدبية في تطوير جوهر الأدب؟